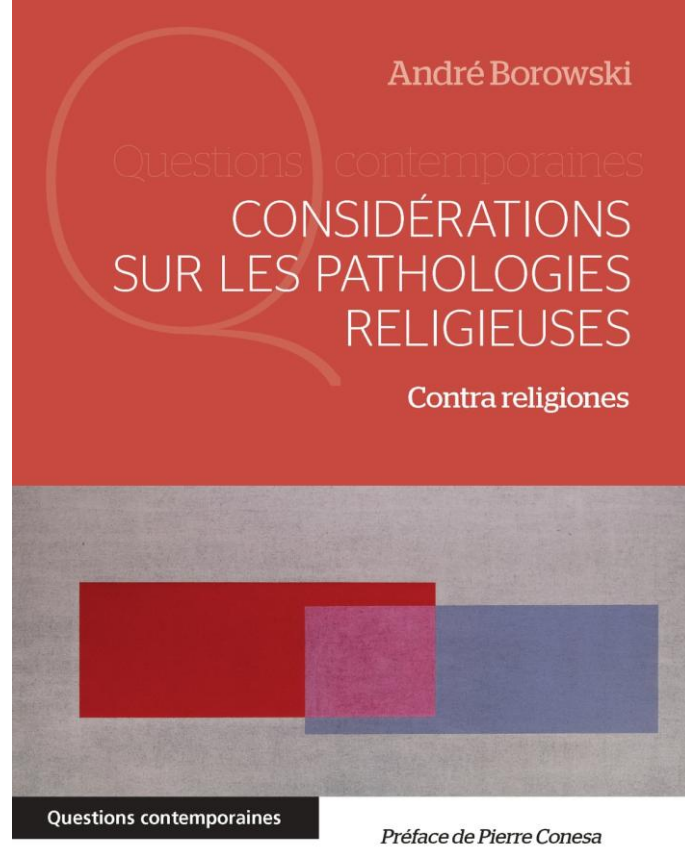


قراءة في كتاب اعتبارات حول باثولوجية الأديان

"اعتبارات حول الأمراض الدينية - كونترا ديانات"، كتاب أندريه بوروفسكي (إصدارات لارماتان).

"كتاب مثير يقدم بديلاً يقوم على المنهج العلمي لإنهاء المعتقدات الدينية".



L'Harmattan

إعداد وتحريّر د. جواد بشارة

يوجد أكثر من تريليون مليار نجم في الكون المعروف. حول واحد منهم، تدعي كائنات بيولوجية معقدة أن الخالق الافتراضي لهذه النجوم أرسل ابنه الوحيد كذبيحة أو قربان، ضحى بنفسه لشراء خطيئة البشر.

مثل هذا الفكر هو وهم. إن التأكيد على أن أبناء الأرض استثنائيون لدرجة أنهم يستحقون هذا المنصب غير العادي هو مرض يعالج بعلم نفساني. لسوء الحظ، فإن هذا الفكر المفرط ليس نادرًا. توجد متغيرات متعددة، تغذي مناقشات لا تنتهي حول الأديان. ومع ذلك، فإن أصل الصعوبات، أي وجود المعتقدات الدينية، هو سؤال لا يتم التطرق إليه مطلقًا، لأنه يعتبر من المحرمات.

يقدم أندريه بوروفسكي نداءً قويًا لصالح المنهج العلمي ويقترح مسارات عمل لمكافحة المعتقدات الدينية. لأن العلمانية الدفاعية لا تكفي: يجب على الدول أن تنتقل إلى علمانية فاعلة هجومية، مع تعزيز المنهج العلمي على جميع المستويات.

كيف يمكن أن يكون بعض العلماء مؤمنين

"كلمة الله بالنسبة لي ليست سوى تعبير ونتاج ضعف الإنسان." (ألبرت أينشتاين، 1954)

العلوم عديدة والأديان لا تعد ولا تحصى. قد يكون كل اكتشاف علمي مشكلة بالنسبة لبعض الأديان، ولكن دون عواقب بالنسبة للآخرين. يمكن لعلم كامل أن يهدد بعض المعتقدات الدينية، بينما يُنظر إليه البعض الآخر على أنه غير ضار.

تاريخياً، هناك العديد من المواقف التي عارض فيها العلم والدين بعضهما البعض والآخر حيث تعايشا بفضل التصور المتحيز لـ "أنظمة حكم منفصلة". ومن أسباب الاشتباكات المتكررة رفض بعض علماء الدين "الإعجاز أو المعجزات". يعتبر هؤلاء العلماء أن "المعجزات"، لكونها غير محتملة إلى حد كبير، يجب، من أجل التحقق من صحتها، أن تكون مدعومة بأدلة قوية جداً وليس أساساً بروايات متحيزة من المؤمنين.

بالنسبة لأولئك الذين يفسرون الكتاب المقدس أو أي قصة أسطورية أخرى بطريقة حرفية، تثير نظرية تطور الأنواع (الداروينية) رد فعل قويًا لرفضها ومحاربتها.

ومع ذلك، فإن العديد من العلماء مؤمنون بدرجات متفاوتة. إذا كانت طريقة المعرفة العلمية والمعتقدات القائمة على الوحي غير متوافقة، فكيف يمكن أن يكون العديد من العلماء مؤمنين؟

هؤلاء العلماء لديهم تصور مجزأ للواقع، والدين والعلم بالنسبة لهم، يظهران على أنهما منفصلان ويتعاملان مع مواضيع متعارضة "على ما يبدو". إذا تم فصل هذين المجالين، فهل يمكن أن يتعايشا افتراضياً؟

العلم في حالة حركة دائمة، وتكمن قوته في قدرته الاستقصائية، وتوسيع مجالات اهتمامه، تجعل من الصعب الحفاظ على مساحة منفصلة للمعتقدات التي تبدو غير واقعية مع كل تقدم جديد في المعرفة.

غالبًا ما يكون العلماء الأكثر موهبة هم الأقل تدينًا. يجب أن ينقلوا تصورهم الواضح عن كوننا لزملائهم، لكن غالبًا ما يكون لديهم أولويات أخرى ...

قد تكون دراسة الأديان جذابة للعالم، ولكن بغض النظر عن المعتقد، فإنها دائماً ما تقوم على الوحي، وهو نص "مقدس"، وغير قابل للاختبار، ومزيف، وبالتالي لا قيمة له، بخلاف النص الأدبي.

المعتقدات، غير النقدية، لها مخاطر متأصلة. يجب محاربتها بحزم على الأقل بنفس الجدية التي يستخدمها كل عالم لمعارضة النماذج (المختلفة عن نماذجها) المؤمنة التي يقدمها "زملائه الأعزاء".

"يقترح أندريه بوروفسكي نهجاً مختلفاً يبدأ من الملاحظة: تمضي المعتقدات الدينية على هذا النحو، عندما يتم تنظيمها وهيكلتها على نطاق واسع، وتكون خطيرة في جوهرها لأنها تأتي من اكتشافات لا يمكن دحضها أو تعديلها. وبالتالي فهي تشكل علماً اجتماعياً. "

"هذا الكتاب هو أولاً وقبل كل شيء صندوق أدوات لكل أولئك الذين يفهمون مخاطر المعتقدات الدينية وأسطورة الخلق، لكنهم يواجهون عقبة رئيسية: المنهج العلمي يدفع دائماً لمزيد من التفكير النقدي، بما في ذلك نفسه. ومع ذلك، فإن المعتقد الديني، حتى هذا المقصود بـ "العرافين"، يهدف إلى تخدير هذه الروح النقدية. وفي مواجهة هذا التدخل الهائل والجوهري والمتعدد العلماني، فإن إعادة تأسيس تصور صحيح لواقع أساليب المعرفة مهمة شاقة ".

مثل التبغ أو المخدرات، يمكن أن يكون الإيمان مصدر لحالات الإدمان.

في أذهان المؤمنين، يتميز علم الأمراض الديني بوجود مخططات تفسيرية بدون أساس علمي، تقوم على وجود كيانات غير مرئية تتمتع بإرادة أو قوى خارقة. هذه الأنماط لها طابع مرضي قوي في المقام الأول لأنها تؤدي في كثير من الأحيان إلى التشوهات والقيود والعوائق لاكتساب واستخدام النماذج العلمية ذات الصلة.

استناداً إلى الادعاءات التي يستحيل إثباتها (وبالتالي دحضها)، غالباً ما يؤدي المعتقد الديني إلى استبعاد وتمييز وحتى تدمير الأفراد الذين لا يلتزمون بالمعتقد الصحيح. في الواقع، يمكن للمؤمنين بدين فقط معارضة جميع المؤمنين الآخرين المؤمنين بمعتقدات دينية أخرى والذين لا يشاركونهم إيمانهم. إن مجرد وجود أمثلة للحوار بين الأديان هو علامة واضحة على استحالة وصول المؤمنين إلى رؤية واحدة "للإيمان" من خلال عملية عقلانية.

ما يجعل هذه الأوقات خطيرة في جميع إصداراتها هو طابعها غير القابل للاختبار وغير القابل للتزوير. يبقى القتال إذن الطريقة الوحيدة "لتكون على حق".

إذا أردنا تقييم خطورة كل معتقد ديني، فعلينا أن نأخذ في الاعتبار المحتوى والتأثيرات على أساس هذا الاعتقاد دون أن نأخذ في الاعتبار عدد الأشخاص المتأثرين على الفور، ثم نحدد الشخصية الوهمية، والمُسرفة، والعدوانية، باختصار مرضي لهذا الاعتقاد، وفحصه كما لو كان يتعلق فقط بفرد منعزل.

من المهم تصنيف المعتقد الديني على أنه علم الأمراض، لأنه شرط لأي إجراء علاجي. تاريخياً، قبل القبول العالمي لإدمان الكحول كعلم أمراض، كان من المعقد تصور إجراءات واسعة النطاق.

السيطرة الدينية على المجتمعات، الحقيقة البسيطة المتمثلة في قبول صحة أي وحي على الإطلاق، كانت ولا تزال عقبة خطيرة وحاسمة في بعض الأحيان أمام تقدم المعرفة العلمية، وقبل كل شيء إعاقة لنشر المعرفة العلمية، حتى أبسطها أو الأقل إثارة للجدل..، مثل شكل الأرض أو دورانها حول الشمس أو تحول الأنواع أثناء التطور.

من الواضح أنه إذا كان للمعتقدات الدينية آثار سلبية فقط لكانت قد اختفت منذ فترة طويلة. وبفضل وهم الآثار الإيجابية مثل التقيد "التلقائي" بأولويات المجتمع، أو ممارسة الأعمال الخيرية أو الالتزام بـ "الأخلاق" الحتمية، التي تعتبر ضرورية اجتماعياً، تمكنت الأديان من الحفاظ على نفسها والازدهار. من المهم عدم اعتبار المؤمنين على أنهم مجانيين أو مازوشييين. فالمعتقد يجلب لهم شيئاً ولا يمكنهم العيش بدونه إلا بصعوبة. وبالتالي، فإن تأهيل علم الأمراض يستند إلى حكم شامل لتأثيرات هذه المعتقدات على الإنسانية وعلى الطابع الوهمي لمزاياها. على سبيل المثال، يهاجم بوتين اليوم أوكرانيا بشكل غير عقلاني (وفقاً لإيمانويل ماكرون) لأنه يشعر بدعم عقيدته الأرثوذكسية. السويديون (بشكل جماعي الملحدون) لديهم معدل جريمة أقل من الأمريكيين (متدينين بشكل كبير).

إن قدرة الأديان على الظهور كركائز أخلاقية للمجتمعات هي مصدر المشاكل المرتبطة بها. إن التسويق الذي تستخدمه الأديان معقد وبالتالي فهو خطير.

ما هي نظرية المعرفة؟

قد لا تعرف ذلك (حتى الآن)، لكنك قد مارست أو لاحظت بالفعل القواعد المعرفية، وهي القواعد التي تسمح لك باكتساب وتعديل محتوى المعرفة.

هل يجتمع زملاؤك حول طاولة لمناقشة أحدث التطورات في استنساخ البشر والروبوتات وقيمة هذا البحث؟ إنهم يمارسون شكلاً من أشكال نظرية المعرفة، لأنه من الضروري تحديد معايير الحقيقة (ضمنياً).

على شاشة التلفزيون، ضيف علمي يتساءل عن عواقب اكتشاف فيروس Covid-19؟ سيتعين علينا اللجوء إلى قواعد نظرية المعرفة العلمية لتأطير النقاش.

عالم فيزياء ينشر كتابًا يتناول حدود معرفتنا والتطورات الحديثة في مجاله وتأثيرها على نظرتنا إلى العالم؟ يجب أن تتبع القواعد المعرفية.

في الواقع، نتعامل جميعًا مع القواعد المعرفية حتى بدون إدراكها (مثل قواعد المرور على الطريق).

ولكن بعد ذلك، ما هي بالضبط نظرية المعرفة؟ إنه مجال فلسفي بشكل أساسي يقوم بدراسة وتحليل وانتقاد المبادئ والمفاهيم الأساسية والممارسات والنظريات والنتائج الخاصة بالعلوم المختلفة، وخاصة أساليبها وطرق عملها. توصل إلى اكتشافات تم التحقق من صحتها، من أجل تحديد أصلها المنطقي وقيمتها وأهميتها العلمية والفلسفية.

بطريقة مبسطة، نظرية المعرفة هي مجموعة القواعد التي يجب اتباعها لاكتساب المعرفة وتعديلها: "ما الذي يمكننا معرفته وكيف؟".

الأديان الرئيسية آخذة في الارتفاع. وفقًا لمركز الأبحاث الأمريكي، مركز بيو للأبحاث، المعروف بإحصاءاته الديموغرافية الدينية في جميع أنحاء العالم، فإن الاتجاه عام. بحلول عام 2050، يقدر عدد المسلمين اليوم 1.5 مرة، ليلغ 2.76 مليار أو 30٪ من سكان العالم سنة 2050، بينما سيزداد عدد المسيحيين بأكثر من 30٪ وسيمثلون 2.92 مليار فرد. كما سيكون الهندوس واليهود أكثر عددًا بحلول ذلك الوقت، بينما ستشهد البوذية تضائل في حشد أتباعها وأعدادهم.

هل سيكون عالمنا أفضل حالاً إذا كان أكثر تدينًا؟ هناك الكثير ممن يشككون في هذا، "ما شهدناه في العقود الأخيرة هو صعود فاشية جديدة تغلف نفسها" بالشرعية الدينية "كلما كان ذلك أفضل. لتقويض أسس الديمقراطية» كما جاء في مقال قرن التطرف الديني"، فاطمة هدى بيبين، جريدة مونتريال، 1 مايو 2019 في قلب عصر اتسم بالبحث عن المعنى ورفض المادية، فقد أدرك الفلاسفة والمعلمون الإيديولوجيون إمكانات هذا القسم من السكان في البحث عن بوصلة لا تقتصر على ذلك فحسب، بل ترشدتهم، وتتعتشهم. إن استغلال دينهم، مهما كان، لأغراض سياسية و / أو عسكرية، يغرس التعصب والكراهية دون إمكانية الهروب لأن الأديان تستند في نهاية المطاف فقط على "الإيمان"، أي عن وهم المعرفة. وهم ضد الوهم.

العلمانية لا تكفي: التجربة تظهرها:

منذ ذلك الحين، يذهب الجميع إلى العلاج الخاص بهم، باختيار تعزيز انعكاسات الهوية، و "الإسلاموفوبيا"، ومعاداة السامية وأشكال أخرى من الكراهية بين البشر، والتي يسلط وجودها الضوء مرة أخرى على الضرر المرتبط بالمعتقدات. في سؤال حول هذا السؤال من قبل التلفزيون السويسري، أشار أستاذ التاريخ المسيحي ميشيل غراند جان إلى "حرية الضمير" كسلاح ضد التعصب الديني.

أندريه بوروفسكي غير راضٍ عن هذا. صاغ في الصفحات الأخيرة من كتابه السؤال "هل يمكن لدولة أن تظل علمانية بشكل سلبي؟ يجب بالنفي: "يفترض أنه إذا كان الفصل فعالاً، إذا لم يكن هناك توغل، فإن التعايش بين المؤمنين بمختلف الطوائف فيما بينهم وبين غير المؤمنين قد يتكشف. تظهر التجارب الحديثة هشاشة مثل هذا التفكير (...). لا يمكن أن يكون الحياد الديني الحقيقي دفاعياً فقط، ويكتفي بالحد من توغل الدين في المجال الاجتماعي بأكمله. يجب أن يكون مصحوباً بدفاع هجومي نشط عن نظرية المعرفة العلمية باعتبارها الطريقة المشتركة للوحيدة للمعرفة على جميع المستويات (...). العمل الجوهري، وهو صراع واسع النطاق ضد المعتقدات الدينية، أمر ضروري.

مهاجمة المعتقدات بدلاً من المؤمنين:

فقط على حساب هذا الانفصال عن بعض التقاليد العلمانية الراسخة، والمؤلمة للكثيرين، سنتجنب التمييز ضد هذه الفئة أو تلك من السكان ووصمها بالعار. وبهذا الثمن فقط سنتجنب تكاثر أنصار الأرض المسطحة واستمرار المذابح والحروب الدينية العلمانية التي ما زالت دامية في الكوكب. المعتقدات، بطبيعتها التي لا يمكن التحقق منها، يجب مهاجمتها بحزم لتجنب الاضطرار إلى مهاجمة ضحاياهم الأوائل، المؤمنين.

من ناحية أخرى، الطريقة الوحيدة لاكتساب المعرفة التي يمكن استخدامها على نطاق واسع، والتي من المحتمل أن تحقق إجماعاً للبشرية جمعاء، هي الطريقة العلمية.

معايير صحتها موضحة بعمق في "الأديان الكونترا". في مواجهة الاعتداءات المباشرة وغير المباشرة على هذه الطريقة، جوهرية الفكر الإنساني على الرغم من عيوبها وقيودها، يتم تحليلها ورفضها بحزم.

الفلسفة تتصدى لمفهوم الإله:

لا أحد يعرف أن فريدريك نيتشه أعلن أن الله قد مات. إنها إحدى الجمل القليلة في تاريخ الفلسفة التي يمكنك شراؤها عمكوبة لى القصص والمصقات الواقية من الصدمات. أو يمكنك أن تجد أيضًا منقوشة تقول إن نيتشه قد أمات - الله.

لكن يفترض الكثير من الناس أن نيتشه كان يحتفل بزوال الله المفترض، وهذا ليس دقيقًا حقًا. على الرغم من أنه لم يكن ينكر ذلك، إلا أنه كان قلقًا بالتأكيد بشأن العواقب. تظهر السخرية الشهيرة في حكاية قصيرة بعنوان "المجنون"، حيث تجري شخصية نيتشه الرئيسية باكية في سوق مليء بالكافرين. قفز المجنون في وسطهم وطعنهم بعينه وهو يصرخ "أين الله؟" بكى؛ رد عليه أحدهم "سأخبرك. لقد قتلناه - أنت وأنا. . .

"ألا نشعر بأنفاس الفضاء الفارغ؟ ألم يبرد؟ ألا يقترب الليل علينا باستمرار؟ ألا نحتاج لإضاءة الفوانيس في الصباح؟ ألا نسمع شيئًا حتى الآن عن ضجيج حفاري القبور الذين يدفنون الله؟ ألا نشم شيئًا حتى الآن من التحلل الإلهي؟ الآلهة، أيضًا، تتحلل. الإله مات. يبقى الله ميتا. ولقد قتلوه."

لا نيتشه ولا مجنونه الخيالي مسرورون بموت الله. إذا كان هناك أي شيء ، فهم يحاولون إيقاظ الناس لما يعنيه ذلك حقًا.

ابتداءً من القرن التاسع عشر، بدأ يغرق في نفوس عدد متزايد من الناس أن الحقائق المطمئنة للنظام القديم كانت على وشك الانهيار. بينما طور العلم وجهة نظر موحدة عن الطبيعة موجودة وتتطور دون أي دعم خارجي، رحب الكثيرون بانتصارات المعرفة البشرية. رأى آخرون جانبًا مظلمًا للعصر الجديد.

يمكن أن يساعدنا العلم في العيش لفترة أطول، أو تحقيق رحلة إلى القمر. ولكن هل يمكن أن يخبرنا ما هو نوع الحياة التي نعيشها، أو يفسر الشعور بالرهبة التي تغلبنا عندما نتأمل السماوات؟ ماذا يصبح المعنى والهدف عندما لا نستطيع الاعتماد على الآلهة لتوفيرها؟

إن التفكير في الله بطريقة صارمة ليس بالمهمة السهلة. يبدو أنه متردد في الكشف عن نفسه بوضوح شديد في عمل العالم. يمكننا مناقشة شرعية المعجزات المبلغ عنها، لكن معظمنا يؤكد أنها نادرة في

أحسن الأحوال. قد يشعر الناس أن لديهم تجربة شخصية داخلية عن الآلهة - ولكن هذا ليس نوعًا من الأدلة المقنعة لأشخاص آخرين غير المجربين.

من ناحية أخرى، لا يتفق الناس على الله. إنه فكرة زلقة سيئة السمعة. بالنسبة لبعض الناس، فإن الله هو إلى حد كبير كائن - عالم شامل، كلي القدرة، كلي الوجود خلق الكون ويهتم بشدة بمصير البشر، فرديًا وجماعيًا. يفضل البعض الآخر التفكير في مفهوم أكثر تجريدًا عن الله، باعتباره شيئًا أقرب إلى فكرة تفسيرية تلعب دورًا حاسمًا في تفسير عالمنا.

ما يميل جميع المؤمنين - الناس الذين يؤمنون بالله - إلى الاتفاق عليه هو ذلك الله مهم للغاية بالنسبة لهم. واحدة من أهم سمات الأنطولوجيا لشخص ما هي ما إذا كانت تتضمن الله أم لا. إنه الجزء الأكبر من الصورة الكبيرة. إذن، فكرة زلقة أم لا، تقرير كيفية التفكير في الله هو شيء علينا القيام به.

•

تذكر أن هناك جزأين للاستدلال بايزيس: الخروج بمصادقية مسبقة قبل وجود أي دليل، ثم اكتشاف احتمال الحصول على أنواع مختلفة من المعلومات في إطار الأفكار المتنافسة. عندما يتعلق الأمر بالله، فإن كلا الخطوتين يمثلان مشكلة كبيرة. لكن ليس لدينا أي خيار.

من أجل الحفاظ على الأشياء بسيطة، دعنا نقسم كل الطرق الممكنة للتفكير في الله إلى فئتين فقط: الإيمان بالله (الله موجود) والإلحاد (الله غير موجود). هذه مصطلحات شاملة لمجموعة متنوعة من المعتقدات المحتملة، لكننا نوضح المبادئ العامة هنا. من أجل أن نكون واضحين، فلنتخيل أننا نتحدث عن الله ككينونة، كنوع من الكائنات القوية للغاية التي تهتم بحياة البشر.

ماذا يجب أن يكون مقياسنا للإيمان بالله والإلحاد؟ يمكننا أن نجادل في أن الإلحاد أبسط: فهو يحتوي على فئة مفاهيمية أقل من الإيمان بالله. النظريات البسيطة جيدة، وهذا يشير إلى أن الإلحاد السابق يجب أن يكون أعلى. (إذا لم يفسر الإلحاد فعليًا الكون الذي نراه، فإن ذلك السابق سيصبح غير ذي صلة، لأن الاحتمالات المقابلة ستكون صغيرة جدًا.) من ناحية أخرى، على الرغم من أن الله كينونة منفصلة عن العالم المادي، فقد نأمل لشرح ميزات العالم باستخدام تلك الفرضية. القوة التفسيرية هي شيء جيد، لذلك قد يجادل لصالح أكبر قدرة تفسيرية قبل الإيمان بالله.

دعونا نسميها غسل التلوين الدماغى. يحق لك الحصول على مقدماتك الخاصة، ولكن لأغراض هذه المناقشة، دعنا نتخيل أن المصادقات السابقة للإيمان بالله والإلحاد متساوية. ثم سيتم تنفيذ كل الأحمال الثقيلة من خلال الاحتمالات - إلى أي مدى تعمل الفكرتان بشكل جيد في حساب العالم الذي نراه بالفعل.

هنا حيث الامور مثيرة للاهتمام. ما يفترض أن نفعله هو أن نتخيل، بشكل عادل قدر الإمكان، كيف سيبدو العالم وفقاً لأي من الاحتمالين لدينا، ثم مقارنته بما هو عليه في الواقع. هذا صعب حقاً. ليس لأن «الإيمان بالله» أو «الإلحاد» في حد ذاته، هو إطار تنبؤي أو محدد للغاية. يمكننا تخيل العديد من الأكوان الممكنة التي ستكون متوافقة مع أي فكرة. واعتباراتها ملوثة بحقيقة أننا في الواقع نعرف الكثير عن العالم. هذا تحيز كبير لمحاولة التغلب عليه.

خذ مشكلة الشر. لماذا قد يسمح الإله القوي والخير، الذي يُفترض أنه يستطيع ببساطة أن يمنع البشر من أن يكونوا أشراراً، بوجود الشر في العالم؟ هناك العديد من الردود المحتملة على هذا السؤال. يعتمد أحد العناصر الشائعة على مفهوم "الإرادة الحرة" أو "حرية الاختيار": ربما بالنسبة إلى الله، من الأهمية بمكان أن يكون البشر أحراراً في الاختيار وفقاً لإرادتهم - حتى لو انتهى بهم الأمر إلى اختيار الشر - بدلاً من إجبارهم على أن يكونوا صالحين بشكل موحد.

ومع ذلك ، فإن مهمتنا ليست مجرد التوفيق بين البيانات (وجود الشر)

مع النظرية الثيولوجية (الإيمان بالله). إنها التساؤل عن كيفية تغيير البيانات لمصادقينا لكل من النظريتين المتنافستين (الإيمان والإلحاد).

لذا تخيلوا عالماً يشبه إلى حد كبير عالمنا، باستثناء إن هذا الشر غير موجود. الناس في هذا العالم يشبهوننا كثيراً، ويبدو أنهم قادرون على اتخاذ خياراتهم بأنفسهم، لكنهم دائماً ما يختارون فعل الخير بدلاً من الشر. في ذلك العالم، البيانات ذات الصلة هي غياب الشر. كيف يمكن تفسير ذلك، بقدر ما يتعلق الأمر بالإيمان بالله؟

من الصعب الشك في أن غياب الشر سوف يؤخذ على أنه دليل قوي للغاية لصالح وجود الله. إذا تطورت البشرية ببساطة وفقاً للانتقاء والانتخاب الطبيعي، دون أي إرشاد أو تدخل إلهي، فإننا نتوقع أن نرث

مجموعة متنوعة من النبضات الطبيعية - بعضها من أجل الخير، والبعض الآخر لغير الخير. قد يكون من الصعب تفسير غياب الشر في العالم في ظل الإلحاد، ولكنه سهل نسبيًا في ظل الإيمان بالله، لذلك يعتبر دليلاً على وجود الله.

ولكن إذا كان هذا صحيحًا، فإن حقيقة أننا نختبر الشر هو دليل لا لبس فيه ضد وجود الله. إذا كان احتمال عدم وجود شر أكبر في ظل الإيمان بالله، فإن احتمالية الشر أكبر في ظل الإلحاد، لذا فإن وجود الشر يزيد من مصداقيتنا بأن الإلحاد هو الصحيح.

بعبارة أخرى، من السهل ابتكار سمات الكون التي تقدم دليلاً على الإلحاد منه على الإيمان بالله. تخيل عالماً تكثر فيه المعابد، بدلاً من ندرة حدوثها أو عدم حدوثها على الإطلاق. تخيل عالماً جاءت فيه جميع التقاليد الدينية من جميع أنحاء العالم بشكل مستقل بنفس العقائد والقصص عن الله. تخيل كونًا صغيرًا نسبيًا، به الشمس والقمر والأرض فقط، ولا توجد نجوم أو مجرات أخرى. تخيل عالماً قدمت فيه النصوص الدينية بشكل متواصل أجزاء محددة وصحيحة وغير بديهية من المعلومات العلمية. تخيل عالماً كان فيه البشر منفصلين تمامًا عن بقية التاريخ البيولوجي. تخيل عالماً تعيش فيه الأرواح بعد الموت، وكثيراً ما تزور وتتفاعل مع عالم الأحياء، وتروي قصصاً مقنعة عن الحياة في الجنة. تخيل عالماً كان حراً خالي من المعاناة العشوائية. تخيل عالماً كان عادلاً تماماً، حيث كانت الحالة النسبية للسعادة لكل شخص متناسبة تماماً مع فضيلته.

في أي من تلك العوالم، فإن الباحثين الدؤوبين عن الأنطولوجيا الحقيقية قد يتخذون بحق تلك الجوانب من الواقع كدليل على وجود الله. ويترتب على عدم تعاقب الليل والنهار وغياب هذه الملامح دليل لصالح الإلحاد.

ما مدى قوة هذا الدليل، هو سؤال آخر تماماً. يمكننا أن نحاول تحديد التأثير الكلي، لكننا نواجه عقبة صعبة للغاية: الإيمان بالله لم يتم تعريفه جيداً. كانت هناك محاولات عديدة، على غرار إن "الله هو أفضل كائن يمكن تصوره" أو "الله هو أساس كل الوجود، الشرط الشامل للإمكانية". هذه الأصوات واضحة ولا لبس فيها، لكنها لا تؤدي إلى احتمالات دقيقة على غرار "احتمالية أن الله، إذا كان موجوداً، سيعطي تعليمات واضحة حول كيفية العثور على نعمة للناس من جميع الأزمنة والثقافات". حتى لو ادعى المرء أن مفهوم الله نفسه محدد جيداً، فإن العلاقة بين هذا المفهوم وواقعية عالمنا تظل غامضة.

يمكن للمرء أن يحاول تجنب المشكلة من خلال إنكار أن الإيمان بالله يقوم بأي تنبؤات على الإطلاق لما يجب أن يكون عليه العالم - جوهر الله خفي ولا يمكن اختراقه لأذهاننا. هذا لا يحل المشكلة - طالما أن

الإلحاد يقوم بالتنبؤات، فلا يزال من الممكن أن تتراكم الأدلة بطريقة أو بأخرى - ولكنه يخفف من حدتها إلى حد ما. ولكن بتكلفة كبيرة فقط: إذا لم تنتبأ الأنطولوجيا بأي شيء تقريباً، ينتهي الأمر بتفسير أي شيء تقريباً، ولا يوجد سبب للاعتقاد بذلك.

هناك بعض سمات عالمنا التي تعتبر دليلاً لصالح الإلحاد، تماماً كما أن بعض السمات دليل على الإلحاد. تخيل عالماً لم يفكر فيه أحد في مفهوم الله - الفكرة ببساطة لم تحدث قط. بالنظر إلى تعريفنا للإيمان بالله، هذا عالم بعيد الاحتمال إذا كان الله موجوداً. قد يبدو عازراً على الله أن يبذل كل المشاكل لخلق الكون والبشرية، ثم لا يخبرنا أبداً عن وجوده. لذلك من المنطقي تماماً أن نقول إن الحقيقة البسيطة المتمثلة في أن الناس يفكرون في الله تعد دليلاً على أنه حقيقي.

هذا مثال غريب الأطوار إلى حد ما، لكن هناك أمثلة أكثر جدية. تخيل عالماً به مادة فيزيائية، ولكن لم تنشأ فيه الحياة. أو كون به حياة ولكن بلا وعي. أو كون به كائنات واعية، لكنهم لم يجدوا أي متعة أو معنى في وجودهم. للوهلة الأولى، قد تبدو احتمالات مثل هذه النسخ من الواقع أعلى في ظل الإلحاد منها في ظل الإيمان بالله. يتمثل جزء كبير من مهمة الجزء المتبقي من هذا الكتاب في وصف كيف من المحتمل جداً أن تكون هذه الميزات في نظرة طبيعية للعالم.

ليس هناك الكثير يمكن اكتسابه من خلال التمرين على جميع الحجج المؤيدة والمناهضة للإيمان بالله هنا. ما يهم أكثر هو فهم الأساس لإحراز تقدم في هذا والأسئلة المماثلة. نحن نضع تصوراتنا السابقة، ونحدد احتمالات حدوث أشياء مختلفة في ظل كل تصور متنافس للعالم، ثم نحديث مصداقاتنا على أساس ما نلاحظه. هذا ينطبق تماماً على وجود الله كما ينطبق على نظرية الانجراف القاري أو وجود المادة المظلمة.

يبدو كل شيء مرتباً للغاية، لكننا بشر غير معصوم، ومحدود، ومتحيز. قد يجادل البعض في أن الكون الذي يحتوي على مائة مليار مجرة هو بالضبط ما سيخلقه الله بشكل طبيعي، بينما يقوم شخص آخر بإلقاء نظرة على أعينه ويسأل عما إذا كان هذا التوقع قد تم طرحه بالفعل قبل أن نخرج ونكتشف المجرات في تلسكوباتنا.

كل ما يمكننا القيام به هو مسح كواكب الإيمان لدينا، والتعرف على تحيزاتنا، ومحاولة تصحيحها بأفضل ما يمكننا. يتهم الملحدون أحيانًا المؤمنين الدينيين بأنهم ضحايا التمني - الإيمان بقوة تتجاوز العالم المادي، وهدف أعلى للوجود، وخاصة المكافأة بعد الموت (نظرية الثواب والعقاب)، ببساطة لأن هذا هو ما يريدون أن يكون حقيقيًا. هذا تحيز مفهوم تمامًا، ومن الحكمة إدراكه ومحاولة أخذه في الاعتبار.

لكن هناك تحيزات من كلا الجانبين. قد يشعر الكثير من الناس بالارتياح لفكرة وجود كائن قوي يهتم بحياتهم، ويحدد المعايير النهائية للسلوك الصحيح والخطأ. أنا شخصياً لا أشعر بالارتياح حيال ذلك على الإطلاق - أجد الفكرة مقرزة للغاية. أفضل أن أعيش في عالم حيث أكون مسؤولاً عن خلق قيمي الخاصة والعيش وفقاً لها بأفضل ما يمكنني، بدلاً من عالم يسلمها الله لنا فيه، ويفعل ذلك بطريقة غامضة بشكل يثير الغضب. قد يؤدي هذا التفضيل إلى تحيزي دون وعي ضد الإيمان بالله. من ناحية أخرى، لست سعيداً على الإطلاق لأن حياتي ستنتهي قريباً نسبياً (الحديث الكوني)، مع عدم وجود أمل في الاستمرار؛ لذلك قد يجعلني ذلك متحيزاً تجاهه. مهما كانت التحيزات التي قد تكون لدي، فأنا بحاجة إلى وضعها في الاعتبار أثناء محاولة تقييم الأدلة بموضوعية. كل ما يمكن لأي منا أن يأمل في القيام به من قبل جسدنا الصغير في الكون.

سيتم نشر التعليقات التي تعتبر مثيرة للاهتمام فقط، ومن المحتمل أن يتم استخدامها لأغراض التحرير مع أو بدون ذكر المؤلف.

لمعرفة المزيد حول هذا الموضوع، راجع عن كتاب André Borowski "اعتبارات حول الأمراض الدينية" في منشورات لارماتان Editions Le Harmattan